قضية الوحدة العربية في مسرح عبدالغني داود (١٩٣٩م – ٢٠٢٤م)

أمـــيرة صـــلاح زين العـــابدين (*)

المقدمة:

ارتبط المسرح منذ القدم ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع فكان دائمًا على مر العصور بمثابة مرآة تعكس متغيرات المجتمع، وبما أن المسرح هو فن مخاطبة الجمهور، لذلك فالكاتب المسرحي كان شديد الحرص أن يجعل مضمون مسرحياته تناقش قضايا وهموم مجتمعه ، ولكي يكون باستطاعته أن يُعيد تشكيل وعي وفكر جمهوره من خلال بث مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية التي تشغل المجتمع بجميع فئاته، فالكاتب المسرحي كغيره من البشر يتأثر بظروف وواقع مجتمعه، فيعبر عن تلك الظروف والأحداث من خلال رؤيته لها، لذلك يقوم من خلال الكتابة بمعالجة تلك القضايا معالجة درامية، فالمسرح ليس بقصة أو رواية أو قصيدة شعرية بل هو وسيلة للتفاعل والتغيير في المجتمع من خلال الجماهير، وبناء عليه فإن الكاتب عبدالغني داود من الكتّاب المسرحيين الذين استمدوا أفكار مسرحياتهم من واقع مجتمعهم وظروف عصرهم الذي ولدوا وتربوا فيه، فقد ولد ١٩٣٩م ، وعاصر ثورة يوليو ١٩٥٢ التي أحدثت فوارق كبيرة في المجتمع المصري، مرورًا بعد ذلك بمرحلة الستينيات والنكسة ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣م ، فكل هذه الأزمات السياسية والتحولات الاجتماعية من الطبيعي أن تؤثر في نفسه؛ فقد شكلت تلك القضايا وعي كثير من الكتّاب في تلك الحقبة التاريخية.

أهمية الدراسة:

تكمُن أهمية الدراسة بصورة خاصة في إلقاء الضوء على أحد كُتَّاب المسرح المصري الذي لم يحظَ بالكثير من الاهتمام من جانب الدراسات الأدبية والأكاديمية، وذلك من خلال قيام الباحثة بتحليل بعض من أعماله المسرحية (عينة الدراسة) بغرض الكشف عن كيفية توظيفه للتراث داخل مسرحياته، والقضايا السياسية والاجتماعية التي تناولها "عبدالغني داود" وعناصر البناء الدرامي في النص المسرحي للكاتب، وكيفية معالجته لها معالجة فنية.

منهج الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة إلى المنهج الوصفي المسحي للتعرُّف على دوافع الكاتب في استخدام أو استلهام التراث في مسرحياته.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [استلهام التراث في مسرح عبد الغني داود "دراسة نقدية"]، وتحت إشراف: أ.د. كمال الدين عيد- أستاذ مناهج التمثيل والإخراج – أكاديمية الفنون – القاهرة & أ.د. أحمد يوسف خليفة (رحمه الله) – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. سيد خاطر- أستاذ مناهج التمثيل والإخراج – أكاديمية الفنون – القاهرة & أ.د. بهاء محمد محمد عثمان – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات سابقة حديثة تناولت الوحدة العربية بالدراسة.

وفي هذا البحث تناولت الباحثة قضية الوحدة العربية من خلال المسرحيات الآتية:

١- اللعنة من فوق المنبر.
٢- غريب في بلبيس
٣- ديوان الأيتام
٤- السفيرة عزيزة
٥- غريب في بلاد المغارب.

وفيما يلي تفصيل لذلك:-

اللعنة من فوق المنبر:

استلهم الكاتب فكرة مسرحية اللعنة من فوق المنبر من أحداث التاريخ الإسلامي، وبالأخص عصر الدولة الأموية، وما حدث فيها من فتن وانقسام بين المسلمين العرب وبعضهم بعضًا، وقد خص الكاتب بتلك الأحداث حادثة الفتنة بين الحجاج الثقفي وعبدالرحمن بن الأشعث التي عُرفت باسم الثورة لأنها قد ثار فيها: ابن الأشعث ومن حوله من العلماء وعامة الناس على حكم الحجاج بصفة خاصة، وعلى حكم بني أمية بصفه عامة ولكن كانت نتيجة تلك الفتنة والحرب بين المسلمين هي فشل بن الأشعث في القضاء على حكم بني أمية وإزاحة الحجاج وظلمه وقد مات آلاف المسلمين في تلك الأحداث؛ لذلك أعدها التاريخ من الفتن الكبرى في عصر بني أمية فلم يراع أحد منهم حرمة إراقة دماء المسلمين، وقد استشهد الكاتب بتلك الحادثة ليعبر عن آرائه وأفكاره حول واقع مجتمعه العربي، وأن العرب منذ القدم وهم في قتال مع بعضهم بعضًا، فبدلًا من أن يوجهوا كل طاقتهم تجاه العدو ومحاربته راحوا يحاربون بعضهم .

تبدأ مسرحية اللعنة من فوق المنبر بحوار بين مجموعة من الأشخاص أمام قصر الإمارة بالكوفة، ويتضح من خلال الحوار أن المسلمين في ظل حكم بني أمية، فهم يفجرون قضية مهمة كانت السبب الرئيس لاتحاد طوائف المسلمين حول ابن الأشعث وتشجيعه على الثورة على حكم بني أمية والإطاحة بهم.

الرسول : (غاضبًا) لابد لي من الدخول ... هذا استهتار بمصائر الناس ..

عبدالله: (يفتح البوابة) ادخل "فيسرع الرسول بالدخول" ادخل لا رعاك الله ولا مرحبًا بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في كل شر....

الفلاح: (معاتبًا) أدخلت الرسول ومنعتني؟

عبدالله: هذا عربي.. وربما كان قرشيًّا..

الفلاح: ساوى الإسلام بيننا .. لقد أصبحنا جميعًا قرشيين...

عبدالله: (زاجرًا) اخرس وإلا حسبوك من الخوارج.. أو من هؤلاء الذين تشيعوا لعليّ لعنه الله (بنوع من المرارة) مازال القرشي هو القرشي لا يطاوله أحد في الشرف، ولا ينازعه عربي أو غير عربي في مكانة أو رياسة أو إدارة ....

الفلاح: لكنهم مازالوا يلعنون عليًّا وهو قرشي مثلهم من فوق المنابر...
عبدالله: اخرس أيها المجنون... يبدو أنك تنوي أن تطيح برأسي ، اسكت وابتعد أيها الكلب الأبله.... ابتعد يا مختوم ... (صارخًا) لعن الله أبا تراب... لعن الله أبا تراب..[1]
إننا من خلال هذا الحوار، نجد أن الكاتب قد عبَّر بكل وضوح عن قضية شائكة مازال يعاني منها العالم بصفة عامة والمجتمع العربي بصفة خاصة، وهي الطبقية والعنصرية من حيث الانتماء للنَّسَب والعِرْق التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام والتي محاها الإسلام عند مجيئه والعرب في عصر الدولة الأموية كانوا يعدون أنفسهم فوق الجميع والعربي يرى نفسه سيدًا على غير العربي، وكان الأمويون يرون الموالي وغيرهم أرقاء وأتباعًا لهم.
لذلك قاموا بالاتحاد مع أعداء بني أمية والكارهين لحكمهم، وذهبوا لنصرتهم، كما في ثورة ابن الأشعث ضد الحَجَّاج في المسرحية.
ويستمر الكاتب في عرض قضية العنصرية والعصبية القبلية؛ حيث كل فريق من المسلمين والعرب يحاول أن يوضح أنه أفضل من الآخر، فأهل المدينة يرون أنهم أفضل من أهل الشام، وأهل الشام يرون أنهم أفضل من أهل العراق وغيرهم، وأهل العراق يرون أنهم أفضلهم جميعًا، كل تلك الأسباب أدت إلي الانقسام والفرقة بين المسلمين والعرب.
عبدالله: هكذا أنتم يا أهل الكوفة تقبلون معًا وتديرون شتى... انظر الناس في صغيرة، وأوقفهم في كبيرة...
مدعي النبوة: نحن أفضل من أهل المدينة فهم أحرص الناس على الفتنة وأعجزهم عنها... أما أهل مصر فمثلًا فأنا أعرف بهم فهم ليسوا إلا لقمة لأكل...
إنها الفتنه التي حدثت في بني أمية بين طوائف المسلمين في الماضي هي صورة صادقة للتاريخ الإسلامي الأموي ومؤثرة فينا؛ لأن الكاتب أجاد إسقاط الماضي على الحاضر العربي في تلك الفترة.
الفلاح: بل نحن أفضل من أهل الشام أنفسهم... فهم أطوع خلق الله لمخلوق، وأعصاهم للخالق، ولا يخشون في السماء ساكن...
عبدالله: يا نهارك أسود ... لسانك... يا أعمى اللسان (هامسًا) أهل الشام هم جند مولانا الخليفة ياغبي....
الفلاح: (معتذرًا) لم أكن أقصد ياسيدي الجندي..
عبدالله: أنا قائد فرقة ياحمار....
الفلاح: آسف... آسف ياسيدي كنت أقصد أن أقول ماذا ستفعل الآن ياسيدي؟
عبدالله: (يزداد عصبية) أمرك غريب!! وما شأنك أنت أيها المختوم!؟
(في اعتداد) سندبر الأمر...

---

[1]) اللعنه من فوق المنبر: ص١٤، ص١٥.

مدعي النبوة: (متشجعًا) هل تظنون أنها دولتكم وحدكم .. نحن أيضًا ندافع عن الإسلام..
الفلاح: (متشجعًا) نحن أيضًا نغار على الإسلام مثلكم تمامًا...
عبدالله: اثنتان وسبعون فرقة تتقاتل باسم الإسلام.... لا شأن لكم أنتم... [1]
والدليل على صدق الكاتب والتزامه بالتاريخ هو ذكر حوارات وأحداث حقيقية على لسان الشخصيات ونقلها كما هي .
وقد بدأ الكاتب مسرحيته بعرض المشكلة وتفجيرها مباشرة، بتوضيح الأسباب التي كانت نتيجة لتشرذم العرب والمسلمين وقتالهم بعضهم بعضًا دون تمهيد لها لأنها ليست موضوعًا للمسرحية بل هي في مجملها تمهيد لما ستسفر عنه الأحداث التالية، وهي أيضًا تساعد في خلق الجو العام للمسرحية في ظل ضغط نفسي وقهري صعب كان يعانيه الكاتب بسبب ما وصل إليه العالم العربي والإسلامي ، ولقد بدأ الكاتب من النهاية التي وصل إليها المجتمع العربي لكي يناقش من خلالها الأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة المؤلمة، وبالنظر إلى الواقع المعاصر نجد أن العرب منقسمين إلى دول وكل دولة ترى من حيث التاريخ والحضارة أنها ترأس جميع الدول العربية، غير أن كل دولة لا تفكر إلا في نفسها فقط، وجميعهم لا يتقاسمون المشاكل لإيجاد حل من حيث إنهم إخوة في الدين والعروبة .
عبدالله: إلى أين ياعجوز؟
العجوز: أبيع بضاعتي للجنود..
عبدالله: وهل تكسب كثيرًا ؟
العجوز: (متجاهلًا السؤال) أنتم تتقاتلون كثيرًا هذه الأيام....
عبدالله: نجاهد في سبيل الله ياعجوز ... تفتح بنور الإسلام بقاعًا.
العجوز: أطفأتم نار الإيوان والنور من النار فكيف تحملون نورًا وقد أطفأتم النار؟
عبدالله: زندقة.
العجوز: (مستغربًا) زندقة ! هيه ؟ ما معنى هذه الكلمة؟
عبدالله: معناها أنك تخرج عن دين الإسلام.
العجوز: لم أخرج عن ديني: قل لي لماذا تتقاتلون؟ أليس الذي يقتل مسلم ، والذي يقتل أيضًا مسلم؟
عبدالله: كلَّا ... الذي يقتل هو المسلم ؟ والمقتول ليس بمسلم...
العجوز: حيرتني يا فتي ... ماذا تريد؟
عبدالله: بعض المؤونة..
العجوز: أعطني مالًا أعطك من بضاعتي...
عبدالله: أنا رسول الخليفة..

---

[1] المصدر نفسه، ص٢١،٢٢،٢٣ .

العجوز: (مستغربًا) أي خليفة؟ وهل للمسلمين خليفة واحد؟ ادفع نقودك وخذ ما تريد.[١]
من خلال الحوار السابق يظهر لنا حزن الكاتب على ما وصل المسلمون إليه من قتل المسلم أخيه المسلم، وأن كل طرف يكفِّر الطرف الآخر، وكل لا يرى إلا نفسه، ويستنكر الكاتب عدم وجود خليفة واحد يعمل على توحيد صفوف المسلمين، وهذا الاستنكار تأكيد منه على حقيقة التفرق والتشتت بين المسلمين والعرب جميعًا، فالسلطة أعمت الجميع عن رؤية الحقيقة.
لقد كان للكاتب رؤية عميقة للمجتمع العربي والإسلامي من خلال طرحه قضية العنصرية والأقليات والأعراق المختلفة، فسهل ضرب المجتمع بالفتنة والتفرقة؛ لذلك جاء الكاتب بحوارات عديدة داخل المسرحية كعنصر مهم يوضح من خلاله رؤيته للقضية من جميع الجهات، وذلك من خلال حوار الحجاج مع (عبد الله) عندما أرسل ابن الأشعث كتابه للحجاج يبلغه فيه أن سيتوقف عن القتال والتوغل في أرض رتبيل ملك الترك وأنهم سيكتفون بما أخذوه من بلادهم حتى يعرف الجنود والمسلمون طرقهم جيدًا ويحفظوها، والعام القادم سيكملون السيطرة على جميع البلدان، وهذا الرأي صائب جدًّا من وجهة نظر ابن الأشعث كقائد عسكري ، يرى الأصلح لجيشه ، ولكن الحجاج لم يعجبه هذا الرأي، واعتقد أنه ضعف وخوف ولكن السبب في غضب الحجاج من قرار الأشعث هو كرهه الشديد لابن الاشعث، وأنه دائمًا يشبهه بالطاووس، ويراه شخصًا مغرورًا، كان طبيعيًّا تجاهه لم يكن ليثور عليه هكذا بل لقال له افعل ما تراه في مصلحة الجيش بما أنه قائده، وقد أوكله بالمهمة، ومن هنا يبدأ الصراع بين الحجاج وابن الأشعث، ومن خلال الحوار الآتي نكتشف العنصرية والتفرقة بين المسلمين والتي ستكون من الأسباب القوية للثورة على حكم الحجاج وبني أمية.
الحجاج: هذا كتاب امرئ يحب الهدنة، ويستريح إلى الموادعة اكتب يا حسان (حسان يستعد للكتابة) قد صانعت يا ابن الأشعث عدوًّا قليلًا ذليلًا قد أصابوا من المسلمين جندًا كان بلاؤهم حسنًا وغناؤهم في الإسلام عظيمًا... لعمرك يا ابن أم عبدالرحمن إنك حيث تكفف عن ذلك العدو بجندي وحدي لسخى النفس على من أصيب من المسلمين...
عبدالله: سيأتيك يا مولاي برأس (رتبيل) بعد هدنة الربيع..
الحجاج: اخرس أنت... من هذا؟
حسان: رسول ابن الأشعث يا مولاي...
الحجاج: يبدو أن جيشه كله من هذا الصنف الخسيس من شذَّاذ الآفاق من الموالي ومنافقي العراق.
عبدالله: (متشجعًا) أنا عربي يا مولاي....
الحجاج: لست إلا واحدًا من هذا الجيش المخنث!

---

[١]) المصدر نفسه: ص ٤٢، ٤٣، ٤٤.

عبدالله: أنا عربي... بل قرشي أيضًا ياسيدي لست من أهل العراق والعياذ بالله ولا من أهل الشام....
الحجاج: لسانك أعمى يا رسول الشؤم وهل في أمتك خير من أهل الشام؟
عبدالله: (متملقًا ومداهنًا) أجل ... أجل نسيت يا مولاي...ليس هناك أسوأ من أهل العراق السفلة....فهم مازالوا يشتمون مولاي إذا مرض ويطلبون موته لا قدر الله وأطال الله عمر مولانا الأمير ... لكن الله سينصرك نصرًا عزيزًا فأنت الأمير... لكن الله سينصرك نصرًا عزيزًا فأنت ياموالي لم تفعل مثلما فعل ابن زياد عندما ضبط العراق بأهل العراق ففسدوا في الأرض. [١]
يبدأ الصراع بين ابن الأشعث والحجاج عندما يقرأ كتاب الحجاج ويقرر بعد ذلك هو ومن حوله أن يثور على الحجاج وظلمه، وعلى حكم بني مروان ويعلن نفسه حاكمًا على المسلمين كان يجب ألا يتفوه بمثل هذا الكلام ابن الأشعث وأن يفكر في الآلاف من المسلمين الذين سيكونون ضحية لهذه الحرب والثورة فكيف يقف المسلم أمام أخيه المسلم في الحرب ويقتل كل منهم الآخر وحجة ابن الأشعث في هذه الثورة أن يمنع اللعنات وقتله للمسلمين ، ألم يفكر هو في حقن دماء المسلمين الأبرياء، وهل بقتل المسلم أخاه المسلم يكون هو الحل ؟.
ابن الأشعث: "يمسك بكتاب الحجاج" لو رأى الحجاج ما نراه نحن لما أرسل هذا الكتاب
إسحاق: لن أقبل أن يعزلك، وأتولى أنا الأمر.
ابن الأشعث: الحجاج عنيد ومحارب لا ييأس.
مدعي النبوة: وصاحب شرطة لا تنام .
ابن الأشعث: كنه مغرم باللعنات.
إسحاق: يكره الجميع حتى نفسه، ويستمتع بهذه الكراهية..
ابن الأشعث: سفك دماء الآلاف من المسلمين من أجل اللعنات..
الفلاح: من أدرى بمعركتنا سوانا!؟
إسحاق: ربما تصور أنه يديرها وهو على بعد عشرين ليلة منها... والله لا يصلح لإمارة الجيش سواك يا عبد الرحمن..
ابن الأشعث: وما العمل؟
إسحاق: نرفع راية الجهاد في سبيل الله.... وليس أولى بالجهاد من القضاء على رأس الكفر وأعوان الشيطان من أصحاب الممالك والسلاطين. [٢]
ومن خلال هذا الحوار نلاحظ أن أعوان ابن الأشعث أيضًا يكفرون الحجاج وبني أمية، وأنهم لا يختلفون عنهم في شيء فمثلهم يكفرون من يعاديهم من المسلمين، وابن الأشعث وأخوه يسمون قتالهم لمسلمين مثلهم بالجهاد أي جهاد هذا الذي ينادون

---

[١] المصدر نفسه: ص٤٦، ص٤٧، ص٤٨.
[٢] نص المسرحية: ص٥٣، ص٥٤.

به لأمم أراقت دم إخوانهم من المسلمين، وهذا حال المسلمين والعرب بدلًا من أن يتوحدوا لقتال العدو والقضاء عليه يفكرون في الحرب وكيف يخرج كل فريق منهم منتصرًا على الآخر تاركين عدوهم الحقيقي بل سوف يذهبون للصلح مع رتبيل عدوهم ويستنجدون به من أجل الحرب على الحجاج وبني أمية لم تكن دعوة ابن الأشعث من أجل المسلمين بل من أجل حبه الشديد للسلطة. وهذا هو الحال في واقعنا المعاصر العرب يعادون بعضهم بعضًا وتاركين أعداءهم من بني صهيون يمرحون ويدنسون أرضاً عربية أخرى ولا أحد منهم يتكلم بل الجميع في حالة صمت مخزٍ بل الأسوأ من ذلك أنهم يتعاونون معهم ويعقدون صفقات على الملأ ولا يخشون شيئًا فالكاتب استلهم فكرته من عصر بني أمية ليقول لنا إن الماضي يعيد نفسه، وأن العرب والمسلمين منذ القِدم وهم في تناحر وتشرذم، والذي يؤكد أيضًا عدم صدق نوايا ابن الأشعث في أنه يحارب الحجاج وبني أمية من أجل المسلمين ومنع اللعنات وتكفيرهم طوائف المسلمين جميعًا هو موقف بني أمية عندما عرضوا على ابن الأشعث أن يعزلوا الحجاج وأن يصبح هو مكانه وأن يعقدوا الصلح معه من أجل حقن دماء المسلمين ولكنه رفض المصالحة، والحقيقة أن ما فعله بنو أمية هو الصواب والخطأ من رفض ابن الأشعث، وهذا يؤكد على عدم خوفه على إراقة الكثير من دماء المسلمين الأبرياء، فلو كان صادقًا في نواياه لوافق علي هذا الرأي الحكيم ولكن طمعه في السلطة وأن يصبح هو أمير المؤمنين وأن يطيح بحكم بني أمية جميعًا يدل على أنه محب للحكم ولا يختلف عنهم كثيرًا وغروره قد أعماه عن الحق.

محمد بن مروان: (الحجاج) عرضنا عليهم عزلك فرفضوه ورفض (ابن الأشعث) المصالحة... غلبنا جيش الموالي والعبيد على أمرنا...

الحجاج: (غاضبًا) تعرضون عليهم عزلي وأنا الذي بفضلي وطأت لكم المنابر، ووحدت البلاد وضربت على الأعداء الذل والمسكنة ، أهل العراق يريدون خلع الخلافة وليس خلع (الحجاج) فقط... ولم أتصور أبدًا في يوم ما أن ترسلوا لابن الأشعث الرسل تطلبون منه أن ينزل واليًا على أي بلد يشاء.....

عبدالله بن عبدالملك: أمر أمير المؤمنين بذلك لصالح الإسلام والمسلمين فإن قبلوا ونادوا إلى الطاعة .

الحجاج: (مكملًا في غيظ) عزلناك... هيه ... قلها لا تتردد.

عبدالله بني عبدالملك: (مكملًا ومتجاهلًا الحجاج) عزلناك عنهم وأجزلنا عليهم أعطياتهم وكنت أنا أميرًا للعراق...

الحجاج: (بتشفٍ) لكنهم أبوا...

محمد بن مروان: فأنت إذن أمير الناس...

الحجاج: (بغيظ) لو أطاعكم أهل الفتنة لبعتموني بثمن بخس ... أنتم ما صنعتم هذا لصالح الإسلام والمسلمين بل لصالح دولتكم وخلافة أسيادي بني مروان... نحن

الآن في زمان العامة والموالي وإنصاف العبيد... زمان الفتنة وانقلاب الموازين ... هؤلاء الغوغاء ما اجتمعوا قط إلا ضروا ولا افترقوا إلا نفعوا..... [١]

من خلال الحوار السابق، يكشف لنا الكاتب على لسان الحجاج النوايا الحقيقية لبني أمية وأن عرضهم من خلع الحجاج وتولية ابن الأشعث ليس من أجل الإسلام والمسلمين كما يدعون ولكن لشدة خوفهم على دولتهم من أن يقضي عليها ابن الأشعث ومن معه من الساخطين على حكم بني أمية ولكن حتى لو كان هذا الاعتقاد هو الصحيح يكفي أنهم لم يتمادوا في غرورهم ويصروا على قتال ابن الأشعث والقضاء عليه لكن اختاروا طريق الهدنة على طريق الحرب، ويستمر الكاتب من خلال الحوار في أجزاء المسرحية التأكيد لنا على الانقسام والعنصرية بين المسلمين غير العرب، كما ذكر في الحوار السابق على لسان الحجاج بالرغم أن الإسلام ساوى بين الجميع، ولكن مازال البعض يعتنق أفكار الجاهلية الأولى.

لقد هزم الأشعث في دير الحجاجم من الحجاج وفر هاربًا إلى قصر (رتبيل) عدو المسلمين الذي هو أحق بالقتال والحرب بدلًا من قتال الإخوة بعضهم بعضًا .

وقد كشف الكاتب لنا عن طمع ابن الأشعث في السلطة والخلافة، وأنه لم يكن صادقًا في ثورته ضد حكم بني أمية من أجل رفع الظلم ومعاناة المسلمين والعرب من بطش بني أمية، كما ادعى ذلك ولكن أصابه الجشع والغرور في أحقيته بالسلطان والحكم بدلًا عن بني أمية وسعيه لطلب الملك وزعم أنه يثور من أجل أن يمنع اللعنات وتكفير الحجاج وبني أمية لكل من يخالفهم في الرأي، ويحاول أن يأخذ منهم الحكم والخلافة كما فعلوا مع علي - رضي الله عنه- وغيره من المسلمين؛ لذلك اختار أن يقتل نفسه وينتحر من أعلى قصر رتبيل ولا يأخذ رأسه الحجاج ويطوف بها جميع بلاد المسلمين فهو يعرف الحجاج وبني أمية وولعهم بكشف الرؤوس والتمثيل بها.

ابن الأشعث: (ساخرًا من نفسه) وأين سنجد هناك في مكانك المهجور هذا ... ملك سبأ وسلطان حمير القديم ؟ (لنفسه) طمعت يا ابن الأشعث في الإمارة والخلافة والسلطنة ... أم كنت تريد كما ادعيت لنفسك أن تمنع اللعنة عن آل النبي من فوق منابر المسلمين؟! لا لن يحمل رأسي هذا الرسول ليعلقها أمام قصر الكوفة أو في دمشق أمام قصر بني مروان وتبقى رأسي معلقة لأيام وأيام... سيبصقون على وجه المنقلب الكافر مفرق جماعة المسلمين وداعي الفتنة والشقاق من شق عصا الطاعة على أمير المؤمنين... أعز الله ملكه، وحفظ به الإسلام مما كاد يحيق به ... هل تظنين يا علياء حقًّا أني كنت أريد أن أمنع لعن الإمام من فوق المنبر حقًّا... أو كنت طالب ملك... لا أدري ... لا أدري....

علياء: ربما استطعنا أن نمنع اللعنة من فوق منبر تلك القرية البعيدة المهجورة.

---

[١] المصدر نفسه: ص٦٢، ص٦٣.

ابن الأشعث: سيكون جزائي أن تحمل رأسي فوق حصان أجرب إلى قصر الكوفة ويمرح بها بعض الفسقة فوق قصور دمشق... لا .... لن أسلمهم رأسي يا علياء ... سأظل كالنسر المحلِّق في الفضاء يرقب من عليائه بَشرًا كالنمل... [1]

غريب في بلبيس:

استلهم الكاتب فكرة النص المسرحي من السيرة الشعبية، وتدور المسرحية عن (أبوزيد الهلالي) وأبناء أخته الثلاثة (يحيى – يونس - مرعي) الذين جاءوا من نجد بعدما أصابهم الجفاف الجوع في طريقهم إلى تونس الخضراء بحثًا عن الكلام، ويشتد بهم تعب السفر وينزلوا على مدينة بلبيس ليطلبوا كرم الضيافة من أمامها ولكن لا يجدون من يكرمهم، وتتوالى الأحداث بعد ذلك .

ولاهتمام الكاتب عبدالغني داود الشديد بقضية الوحدة العربية وقوميته وخوفه من التفرق بديلًا عن الاتحاد، قد أشار في أكثر من موضع من خلال المسرحية على القضية، فعندما دخل أبوزيد الهلالي السجن في بلبيس تقابل مع شخصية أبو القاسم الهارب من تونس الخضراء ومن بطش الزناتي عليهم وقتل النساء والأطفال ولم يجدوا عربيًّا واحدًا ينجدهم ويدافع عنهم.

أبوزيد: كيف يسجنون طالب كرم الضيافة؟

يبيعون العيش بالميزان ... عمري ما شفت ناس بهذا الشكل...

أبو القاسم: كل بلد نظام وعرف يمشوا عليه...

أبوزيد: كل بلاد العرب أرض واحدة...

أبو القاسم: صوتك عالي يا غريب ... وطي صوتك.

أبوزيد: أحب صوت الرجال في الساحة، وزعقة الفرسان على الفرسان.....

أبو القاسم: ضيعت سرك ياغريب ... اكتم سرك في حشاك واسكت...

أبوزيد : كيف أسكت وأنا صنعتي الكلام...

أبو القاسم: كلامك ماله معنى في هذا الزمان... أنا كنت شيخ قبيلة في تونس لي عزة ولي سلطان... أحكم بشرع الله وأقيم العدل بين الناس ... وأعلم الناس التاريخ والشعر والفروسية.... دخل علينا (الزناتي خليفه) في يوم جمعة، وكانت الناس كلها بتصلي في الجوامع، وكل واحد ترك أشغاله وراح يؤدي الفريضة، وما في مخلوق في الشارع .. دخل علينا الزناتي الجامع في ساعة السجود لله .... طاح بكل الرؤوس، وغرقت تونس في بحر الدم.... جريت على الناس لقيت (ليلى) مقابلاني هربانة مع الحريم اللي هاجمهم رجال الزناتي... نهبوا القرية وسبوا الحريم جرينا في واسع الوديان والخلا، وقلت أقصد قبر الرسول أعيش في حماه وألجأ لأطهر مقام عسى ربنا يجيب الفرج... مرت علينا ليالي سودا وأيام عصيبة شربنا فيها المر لغاية ما وصلنا بلبيس، وقلنا نرتاح من ويل الطريق، وقصدنا الأمير المقدام أمير بلبيس، وحكيت له حكايتي قام بضيافتي أنا وبنتي أسبوع، وطلبت الإذن أكمل

[1] المصدر نفسه : ص٩٨.

رحلتي حجزني... خاف نكون دسيسه عليه، وخاف من سطوة (الزناتي) وفكر يبيعنا له بأغلى تمن.... حبسنا في القصر وأخفانا عن العيون وطالت الأيام واحنا في حبسنا ما حد طل علينا غير الأميرة (مي) بنت المقدام... حبت بنتي لما سمعت صوتها وهي بتغني علي وجيعتنا، وما صدقت لقيتها... بنتي كانت زهقانه من الحبس.. (مي) كانت زهقانه... كل واحدة مش لاقيه سمير يسامرها واتلم البنتين علي بعض... دي وحيدة ويتيمة ما لها أم ودي وحيدة ويتيمة مالها أم... قعدت تطل علينا كل يوم وكل ساعة زي ما تكون محبوسة معانا ومش عايزة تسيبنا لغاية ما ابوها الامير المقدام قلبة رق وسمح لبنتي تخرج معاها، وبعدها ما فارقوش بعض لا ليل ولا نهار.... تخرج للنزهة معاها ... تنزل في أي مكان معاها، وكل يوم اتنين لازم يطلوا علي.[١]

من خلال الحوار السابق، يوضح لنا الكاتب غضبه وحزنه على ما وصل إليه حال العرب من سوء المعاملة لبعضهم بعضًا أنهم فقدوا أسمى المبادئ والقيم العربية الأصيلة ألا وهي إكرام الضيف وحسن الاستقبال ولكن الكاتب يعبر عن هذا التغير والتحول في الطباع وهذا ليس من سمات الشخصية العربية وأن مجرد ذكر كلمة العروبة أو أن جميع بلاد العرب أرض واحدة أصبحت جريمة أو شيء مهين وأنها قد تؤدي بصاحبها إلى السجن والعقاب من الحاكم كما ذكر في الحوار على لسان أبوزيد وتحذير أبو القاسم له من أن ينطق بمثل هذا الكلام وهنا يؤكد الكاتب على حقيقة تفرق العرب والوحدة العربية مجرد أضغاث أحلام.

لقد أتى الكاتب بشخصية حاكم بلبيس ليدلل على وصف حي للحاكم العربي الجبان، وبعد ذلك يبرهن الكاتب مرة أخرى على أن لا وحدة بين العرب من خلال ذكر أبو القاسم لما حدث لتونس على يد الزناتي عندما هاجم أرض عربية ولم يراع حرمة الدين واقتحم برجاله الجامع والناس تصلي وبدأ يقتل ويذبح ولم يراع حرمة المسجد، وأن الدين حرم القتال داخله واستمروا في النهب وأسر النساء أفعال لا يفعلها غير بني صهيون مع الفلسطينيين الآن وأنه لجأ لحاكم بلبيس وبدل من أن ينجدهم و يقدم المساعدة لأهل تونس قام بحبس أبو القاسم وابنته عنده في بلبيس حتى يساوم الزناتي عليهم، وكل هذا ولم يجد تونس وأهلها أحدًا من العرب ليساندهم ويدافع عنهم بل الجميع يحاول أن يستغل الموقف لصالحة وهذا ما حدث مع فلسطين وأهلها وموقف العرب الأخرس تجاه القضية فهذا يؤكد على خيانة جميع العرب للقومية العربية والدين بل القضية بأكملها وأنهم لا يؤمنون بفكرة الوحدة العربية ولا يسعون إليها بل كل منهم يفكر في نفسه وهذا ما يحدث في واقعنا المعاصر من خذلان العرب لبعضهم بعضًا، الكل يريد أن يصل على أنقاض جثة أخيه العربي، فالكاتب يتمنَّى أن تصبح جميع الدول العربية دولة واحدة، وهذا نابع

[١] غريب في بلبيس: ص١٧: ص١٨.

من إيمانه الداخلي بفكرة القومية العربية كحَلٍّ جذري لما يحدث داخل الدول العربية من تخلف وقمع واحتلال.

أبو القاسم: عرب بلا عيهور عرب ردية .. عرب بلا خيل ضايعة.

أبوزيد: أنت ما تعرف فرنسان بني هلال ولا ملوكهم... هل سمعت عن حسن الهلالي ولد سرحان عز قيس وعامر وسلطان نجد... وهل سمعت من أبو موسي دياب ابن غانم المنتسب حامي ظعون القوم يوم المجال، وفيهم أبوزيد الهلالي حامي العرب منسوب عم وخال...

أبو القاسم: كلنا أهل واحد وجد واحد ... مجروح من أهلي ما نجدوني في وقت الشدة ولا ردوا ظلم الزناتي، وضاع الحق بين العرب.... لو معايا جيش أرجع لتونس على جناح الطيور ... عارف دروبها ومسالكها، وعاشق جنانها وخضرتها، وأعشق عشيرتي وشعبي... ما في غير الله يفرج كربتي. [1] وهنا يعبر الكاتب لنا عن حزن أبو القاسم علي حال العرب وما وصلوا إليه من ضعف ومهانة وجبن وأن قلبه مجروح جرح لا يستطيع مداوته وهو عدم نجدة العرب لتونس في وقت شدتهم وأنهم ينظرون فقط وأن الكبر والفخر بالنسب هو كل ما يجيدونه ولكن لا يعرفون معنى القومية والغيرة على الدين.

وهذا هو الواقع المرير لمجتمعنا العربي، فإسرائيل تفعل وتبيد أهل فلسطين كل يوم ولا أحد يتحرك والكل أصابه العمى وغض الطرف عن الظلم لفلسطين وشعبها وقد ماتت النخوة والرجولة العربية منذ زمن فالكاتب عبر بكل وضوع من خلال الحوار بين الشخصيات في المسرحية عن الأمة العربية متناسين أننا كيان واحد في التاريخ واللغة والعادات والتقاليد، ولكن لقد اتفق العرب على ألا يتفقوا ولكي تحدث الوحدة لابد من الائتلاف الجماعي وأن الوحدة العربية لا يصنعها فرد بل جماعة .

السفيرة عزيزة:

تتكون مسرحية السفيرة عزيزة من جزأين، وكل جزء يشكل من عدة مشاهد مترابطة، وفيها يستلهم الكاتب من التراث الشعبي وخاصة السيرة الهلالية شخصية (السفيرة عزيزة) ابنة الأمير الوهيدي معبد أحد أمراء تونس الشهيرة بجمالها الفتان ودهائها ، التي تقدم لها الكثير من الأمراء للزواج منها ولكن والدها كان يرفض كل من يتقدم لها بسبب نبوءة المنجم الذي ربط موت الوهيدي بيوم زواج عزيزة ولكن عزيزة تقع بعد ذلك في غرام يونس الهلالي الذي جاء من نجد مع خاله أبوزيد الهلالي وإخوته يحيى ومرعى متنكرين من أجل السيطرة على تونس بعدما اشتد القحط بنجد ولكن يقبض عليهم جنود الزناتي حاكم تونس ولكن عزيزة ستحاول بكل الطرق بمساعدة العلام أخو الزناتي الطامع في القرب منها ومحبتها أن يخرجهم من السجن ويوافق الزناتي أن يطلق سراح أبوزيد مقابل دفع فدية له ويذهب أبوزيد ويترك خلفه أولاد أخته الثلاثة في حماية عزيزة والعلام، ولكنه

[1] المصدر نفسه: ص١٨: ص١٩.

ذهب لجمع جيوش بني هلال ونجد لمحاربة تونس وقتل الزناتي وكل هذا مقابل أن تتجوز عزيزة يونس والعلام يأخذ حكم تونس ومن خلال حبكة المسرحية يعالج الكاتب قضية القومية العربية ، لكن لم يلتزم بأحداث السيرة الهلالية كما هي ، بل أخذ منها ما يتناسب مع رؤيته اجتماعيًّا، ذات أبعاد ثقافية وسياسية؛ حيث إن الكاتب وظَّف حكاية عزيزة التي ضحت بالوطن في سبيل الحب ولكن لاحب يعلو فوق حب الوطن فعشق عزيزة ليونس ليس له مبرر لخيانتها لتونس وتمكن بنو هلال من السيطرة على تونس، فمسرحية السفيرة عزيزة تناقش عدة قضايا وليست قضية واحدة فبسبب الحب أضاعت وطنها وكانت سببًا لنزاع العرب وقتلهم لبعضهم بعضًا والعلام أيضًا كان سبب طمعه في الحكم ضحى بأخيه الزناتي ووطنه تونس .

ومن خلال الحوار الآتي، يكشف لنا الكاتب عن استعداد عزيزة للتضحية بوطنها وأهلها في سبيل الحب والزواج من يونس دون أن تشعر بخذلان أو عار فيما تفكر فيه من خيانة.

عزيزة: شفت يا يونس... بعد ما كانت عندي في أعلى المراتب... طاوعت خالك ... بص شوف حالك، خد كل، ولك عندي كل يوم طعامك.

يونس: وخالي وإخواتي يطعموا قبل طعامي...

عزيزة : نجيب لهم نصيبهم

يونس: يا (عزيزة) لازم تشوفي طريقة تخرجينا بها من هنا ... روحي (للعلام) إترجيه وهو ما يقدر يرفض لك طلب. (العلام) هو الشخص الوحيد، ويقدر يتشفع لنا من جديد .

عزيزة: روحي فداك يا يونس، ولو فيها خراب تونس. [١]

إن القارئ لمسرحية السفيرة عزيزة يلاحظ من خلال الأحداث أن الكاتب قد حرص على معالجة قضية اجتماعية وثقافية مهمة وهي رفض الوهيدي والد عزيزة تزويجها لكل من يتقدم لها، وهذا مخالف من ناحية الشرع والمجتمع حيث إن أي فتاة تحلم بتكوين أسرة وأطفال فهذه غريزة فطرها الله عليها منذ ولادتها وهي تحمل بداخلها ميولًا للأمومة، وعزيزة في المسرحية كأية أنثي لديها هذه الميول ولكن والدها سعى لحرمانها من طبيعتها الأنثوية؛ لذلك فهو قد أجرم في حق ابنته مصدقًا الخرافة والجهل والمنجم الذي تنبأ له بموته إذا قام بتزويجها أي أن موته مرتبط بزواج عزيزة، فالكاتب من خلال عرضه لهذه الأحداث يحاول الكشف لنا عن بعض العادات والتقاليد السيئة في مجتمعنا العربي وهي التصديق بالخرافة والخزعبلات والدجل ومعرفة الطالع والغيب، فهو يسلط الضوء على واقعنا المرير إيمان معظم الناس والتصديق بهذه الخرافات، بالرغم من التطور والتقدم في المجتمع والعلم والحداثة فإن مثل هذه الخرافات مازال المجتمع العربي بأكمله

[١] المصدر نفسه: ص٥٤.

متمسكاً بها ومصدقًا لها ، وتظل عزيزة تقنع والدها بأن الزواج هو سنة الحياة حتى النبات والطير والحيوان يتزوج ولكن الوهيدي: (ينتبه ويحتد) بلا زناتي بلا علام ... أنا حلفت يا عزيزة إني ما أجوزك لمخلوق طول ما أنا على وجه الأرض . وعملت لك القصر لأجل يسليكي وينسيكي الجواز ... أنا حلفت حلفان ربنا .... طول ما أنا حي في الدنيا عزيزة ما تتجوز ولا تنطرح جنب جدعان ... مهما إن كان ... يطول الزمان .... (لنفسه) من يوم ميلادك وشاف لك النجم المنجم – ربط ما بين موتي وجوازك موتي في جوازك يا غالية، وأنا روحي غالية عليَّ، أنت الغالية، وما أغلى منك في الدنيا مخلوق، طول ما أنا حي في الدنيا عزيزة ما تتجوز ولا تنطرح جنب جدعان بطول الزمان (يخرج غاضبًا).

عزيزة: اشتكيك لرب العباد ما يغفل ولا ينام ... (تنظر حولها) يبليك يا قصر يا مشئوم بهدمه ويبتليك يا وهيدي بشنقه... أشوف شالك ما بين يدين دلال، ويرزقك بدبحه أشرب من دمك فنجان....[١]

فكان من الطبيعي أن تسعى عزيزة وراء غريزة الحب وتقع في غرام يونس وتساعد أبوزيد والهلالية في إشعال نار الحرب بين نجد وتونس حتى تستطيع الزواج من يونس إذا سيطر الهلالية على الزناتي واستولوا على تونس، فعزيزة هي من أشعلت الفتنة وأقنعت هي والعلام الزناتي سلطان تونس بالحرب ضد الهلالية وحرضته على القتال ورفض السلام الذي عرضه أبوزيد الهلالي علي الزناتي مقابل فك حبس أبناء أخته الثلاثة (يونس – يحيى - مرعي) أن يعود أبو زيد وجيشه عن أسوار تونس إذا وافق الزناتي على طلبه.

وفي إلحاح شديد من الكاتب على قضية تصديق الناس في التنجيم والرمل والخرافات يذكر لنا من خلال المسرحية حيلة عزيزة في خيانتها للوطن والأهل وهي ذهابها متخفية إلى بني هلال لكي تقول لهم إنهم لا يستطيعون التغلب على الزناتي والسيطرة على تونس إلا بالاستعانة بدياب بن غانم، وأنه الوحيد الذي يستطيع أن يقتل بحربته الزناتي خليفة وأن الرمل دل على ذلك وأنها قالت للزناتي أن موته سيكون على يد دياب وأن الرمل دل وأنها بذلك الكلام قد أدخلت الخوف والرعب إلى قلب الزناتي فيكون من السهل القضاء عليه عن طريق دياب، وبالفعل ينجح دياب في القضاء على الزناتي وقتله وسيطرته على عرش تونس.

عرضت مسرحية السفيرة عزيزة بجانب القضية الاجتماعية قضية القومية العربية، فالكاتب عبدالغني داود على وعي عميق بخطورة الفرقة وعدم الوحدة بين العرب، فقد أوضح لنا من خلال الحرب بين بني هلال والزناتي خليفة واحتلالهم لتونس أن العرب لا يتوقفون عن قتال بعضهم بعضًا، وأنهم دائمًا في خلاف وخصام ومؤامرات بل حتى وسط أبناء العمومة أنفسهم، فعندما قتل دياب الزناتي قد طمع في حكم تونس بالرغم من أن السلطان حسن وأبوزيد الهلالي هم من

[١] المصدر نفسه: ص١٥، ص١٦.

استدعوه لقتل الزناتي ولكنه خان عهدهم واستولى على حكم تونس لنفسه، وأن العرش من حقه لأنه هو من حارب وقتل الزناتي حاكم تونس، ونلاحظ من خلال هذه الأحداث أن كل واحد ينتابه شعور في نفسه أنه أحق بحكم تونس وأن الطمع في السلطة والمال قد سيطر على عقولهم وهذا هو الواقع المعاصر للمجتمعات العربية كل واحد لا يفكر إلا في نفسه، وأنهم في خلاف واختلاف دائم متناسين رابطة الدم والدين والعروبة، ومن خلال المشهد الثامن في الجزء الثاني من المسرحية يؤكد لنا الكاتب على هذا الكلام.

دياب يجلس على عرش الزناتي وقد وضع تاج الزناتي على رأسه، يتقدم السلطان حسن غاضبًا ، من دياب ومن خلفه أبوزيد يحاول أن يكبح جماحه.

السلطان حسن طمعان تورثني وأنا حي، وأنا ورثت السلطنة عن جدودي !!! لابد من قتلك يا خسيس....

(يتدخل أبوزيد والرجال بين السلطان حسن ودياب) بينما يجلس دياب على العرش لامباليًا وفي عنجهية وكبر اتركوني أقتل الخسيس العايب .

دياب: (مُعايرًا) يا حسن أنت لو كان عندك شجاعتي كنت قتلت الزناتي وملكت ملكه.. لكن أنتم يا هلالية طلبتوني بالمكاتيب وأنا فارس – ألبي الندا والرجا وحضرت لأجل تملكوا تونس على يدي... سعدي في ركابي على طول الزمان. [١]

عزيزة: (في النَّفَس الأخير) خاب ظني، وسطا البين علينا – ذنبي في رقبتك يا يونس .... لا ... ذنبي في رقبتك يا قلبي... عشقت والغرام ضيعك... حقك علي يا يونس... يا من يعزيني في يونس وتونس ... نسيت حبك يا يونس !! نسيت السفيرة عزيزة؟ أبوزيد ولَّى وراح ، والسلطان حسن سبقه.... يا خيبة الفرسان... رميتموني يا أولاد هلال لديب، نسيتوني وأنا ما نسيت ووفيت بعهدي وما وفيتم بعهد!!!!

دياب: (متفاخرًا) ما أنا ردي الأصل ولا خسيس ... أنا صرت حاكم دريد وقيس .. (عزيزة) خانت أهلها وراحوا أدراج الرياح، وأنا وراهم تفتح تخوت المغاربة السبعة (أمرًا) جهزوا الخيل والسلاح، ورجال زغبة فوارس .. وارموا (عزيزة) السفيرة في حفرة ... ما قلب منا يرق لك، ولاعين تدمع عليكي... كيف ترفضي سلطان يا عميا!!؟ وبعتي الغالي بأرخص وهم في خيالك (مناديًا) هيا يا رجال... قد امنا حرب وتزال ... بلا يونس ... بلا سفيرة عزيزة...

(ترتفع قهقهات مدوية في غرور)[٢]

وينتقل بنا الكاتب في نهاية المسرحية ليوضح لنا موقف عزيزة بعد أن مهدت الطريق لبني هلال في احتلال تونس، وقتل السلطان والأمراء من بينهم والدها الأمير الوهيدي، لقد حرص الكاتب على أن تنال عزيزة جزاء خيانتها للأهل

---

[١] المصدر نفسه: ص٨٢.

[٢] المصدر نفسه: ص٩٢، ص١٠٠.

والوطن، ولأن الجزاء من جنس العمل فعندما ذهبت إلى قصر تونس ووجدت دياب يجلس علي كرسي العرش فذكرته بأن لولا حيلتها وتدبيرها لما استطاع الجلوس على عرش تونس ولكن دياب عندما رأى جمال عزيزة ودلالها أعجب بها وأراد أن تكون زوجته ولكنها رفضت بحجة أنها من نصيب يونس وأنها فعلت ما فعلته من أجل حبها له ولكن دياب يغضب منها ويقول لها إن لا أثق في امرأة خانت أهلها ووطنها، وأنها لا تستحق سوى الموت، فيطعنها بسيفه وتسقط عزيزة غارقة في دمائها.

عزيزة: القصر قصري يا دياب، وإن كنت أصبحت سلطان ... فبحيلي وتدابيري...

دياب : (صاخبًا) بحربتى وساعدي .. أصبحت سلطان البلاد .. (ثم ملاينًا) اعقلي ياعزيزة يا أجمل صبايا العرب... أنا ملهوف على وصالك، وأعيد ليالي شبابي (يمسك بها) لحمك الطري ولع جواي نار، مشتاق لوصالك في فرشتي، وأنت بغيتي ومرادي.

عزيزة : أنا ما أكون لغير يونس وبيننا عهد الله، وإن أجبرتني على فعل الزنا أشنق نفسي بالحبال وأرتاح .. كيف تسمح لنفسك تخالف شرع الله... وربنا فوق كل جبار عنيد .. كافر شيطان إبليس مجرم أثيم..... مأواه نار جهنم... ابعد عني.... يا غادر يا خوان.. يا كلب يا عار العرب في المشارق والمغارب.

دياب : (هائجًا في غضب ويرفع سيفه ويهجم عليها) أنا يا عاهرة ... يا فاجرة .. يا عاشقة الرجال وخاينة أهلك وناسك ... حان موتك يا مجرمة (يطعنها بسيفه) فتسقط على الأرض صارخة – في هذه اللحظة يعود (أبوزيد) فيسرع إلى (عزيزة) وينحني عليها ويكشف عن جروحها.[1]

إن هذه النهاية الدرامية غنية بدلالات ومعانٍ معبرة عن ما فعلته عزيزة تجاه وطنها وأن الكاتب جعلها تشعر بالذل والعار على يد من ضحت من أجلهم بالخيانة فجاءت هذه النهاية معبرة جدًّا، فالكاتب يريد أن يقول لنا جميعًا أن أي شخص ما يفكر بخيانة وطنه وأهله ستكون هذه نهايته التي يستحقها، وأن خيانة الوطن جريمة لا تغتفر، وأن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، لذلك ترى الباحثة أن الكاتب قد وفق في تصوير مشهد ندم عزيزة على ما فعلته، ولكن ماذا يفيد الندم بعد ما حدث ، فهي قد فقدت حب يونس والوطن والأهل وخسرت كل شيء فيجب أن لا تترأف معها أو تحزن عليها.

غريب في بلاد المغارب:

تتشكل مسرحية غريب في بلاد المغارب من تسعة مشاهد وفيها يستلهم الكاتب من التراث الشعبي والسيرة الهلالية فكرة المسرحية وأحداثها، والمسرحية تعالج قضية القومية العربية والوحدة بين العرب؛ لذلك اختار الكاتب من السيرة الهلالية قصة (الخفاجي عامر) حاكم العراق البطل الشجاع العربي الأصيل المؤمن بأن بلاد

[1] المصدر نفسه: ص٩٠، ص٩١.

العرب جميعًا بلد واحدة، وأن كل العرب أهله وناسه، فالصراع في هذه المسرحية يدور حول هذه الفكرة الرئيسية .

تدور أحداث المسرحية عن نزول بني هلال وزغبة إلى العراق هربًا من نجد بعد أن مسها الجفاف والقحط في طريقهم إلى تونس لفك محابيسهم الذي قبض عليهم جنود الزناتي حاكم تونس ولكن يعاقبون الزناتي على ما فعله في شعب تونس من قتل وإباحة الدماء في الجوامع، ولكن يستريحون من مشقة الطريق في العراق ويستقبلهم حاكم العراق في بلاده ويرحب بهم السلطان (درغام) وابنه الأمير (الخفاجي عامر) ولكن عندما يعلم الخفاجي عامر سبب ذهابهم إلى تونس وظلم الزناتي يقرر الذهاب معهم والقتال جنبًا إلى جنب ويعجب (بوطفة) ابنه دياب ويطلبها للزواج ويوافق دياب وبني هلال ولكن والدة درغام وأمه شولا وابنته دوابة يطلبون منه بالا يذهب وأن ليس بينهم وبين الزناتي حروب أو خلاف ولكنه يحاول إقناعهم أن كل العرب أهله وأنه لا غربة في بلاد العرب، ويرفض بنو هلال صحبته ولكن بعد ذلك يوافقون ويذهب معهم ولكن في الطريق ينقلبون عليه ولا يتشاورن معه في أمر الحرب بحجة أنه غريب، بعد أن أكرمهم في بلاده وخرج معهم من أجل الدفاع عن قضيتهم، وبعد ذلك يتقابل مع الزناتي في تونس ويقتل على يد أحد رجاله، ويتخلى عنه بني هلال ويدفنوه دون إكرامه أو إقامة عزاء له ، أن الدارس لمسرحية غريب في بلاد المغارب يلاحظ اهتمام الكاتب عبدالغني داود وتركيزه الشديد على قضية القومية العربية من خلال نص المسرحية وذلك عندما لجأ إلى التراث الشعبي، ليأخذ منه ما يخدم رؤيته الفكرية تجاه القضية العربية، فجاء اختياره الذي يدل على وعي وإدراك لشخصية "الخفاجي عامر" العاشق لقضية الوحدة العربية جعله يرفض كلام والده السلطان درغام وأمه شولا وابنته وأن يستسلم ويرضخ لكلامهم وتحذيره من الذهاب مع بني هلال وترك قصره و شعبه وأمواله والركض وراء حرب لا طائل منها ولا علاقة له بها ولكنه أراد أن يوحد الأمة العربية وأن لا فرق بين عراقي أو هلالي وأن لا غربة في بلد عربي غير بلده وهذا ما نلاحظه في حوار الخفاجي عامر مع والده وابنته.

درغام: الغريب يا ولدي ماله مقدار ولو غلب جميع الشطار، أو غاص في أقصي البحار، رجل تغرب عن بلاده وموطنه، وجاد عن مقامه دائما في عار... شاته منهوبه، وبنته خطيفة ولا له بين العالمين وقار... إذا قال كلمة قالت الناس عايب ألا وإن عيوب الغريب كتار، وإن سكت قالوا : (هفيه)، ولو كان غير معيوب سموه عايب.

الخفاجي: الرحيل في بلاد العرب ما هي غربه، أرض العرب سكن لكل من قال أنا عربي، وحين ينزل في أي مكان يلاقي الأهل والخلان.. وأنا من يوم ما عرفت إن العرب: قرروا الرحيل من بلادنا تعلق قلبي ببلاد المغارب، وأنا مسافر مع العربان.

دوابة: لا تسافر يا والدي وتترك الأهل في عنا ومصاب.

درغام: مالك يا أمير في الغرب حاجة، ولا لك فيها مال ولا أسباب – فكيف تشتتنا وتطلب بعادنا، ونبقي ضايعين في عنا وعذاب.
الخفاجي: راحل ياوالدي لأجل أحارب ظلم الأهل للأهل ولو بحد السيف، أنا لا غاوي شقاوة ولا طيش الشباب يخدعني، ولا خير في رجل يضع نفسه في موضوع العيب واللوم... ولا أنا طالب مجد أفخر به ويسعدني، ولا صبايا ملاح... أنا بشرع الله نويت أخرج معكم يا عرب الخيل غزاوي.
درغام: لا ثأر عندنا للزناتي خليفه، ولادم لك ولا أصحاب ليست صواب لو تفارقنا نصبح يتامي بلا أهل ولا أصحاب، وتصبح أنت وحيد بين عرب نجد ... اجتمع شملهم وأنت وحيد ... [1]

إن الحوار يبرز بوضوح الدعوة إلى الاتحاد بين العرب، فالمسرحية غنية بالقيم النبيلة التي تخدم القضية العربية والتي حرص الكاتب علي بثها في روح المتلقي العربي مثل أن بلاد العرب سكن لكل من قال أنا عربي، ظلم الأهل للأهل يقصد الزناتي وما فعله في أهله وناسه ومحابيس بني هلال ، أنه لا يقبل أن يضع نفسه في موضع عيب بصفته أمير عربي ويعرف ويسمع ما يحدث مع إخوانه من القهر والذل، والدارس للمسرحية لن يجد صعوبة في الوصول إلى الإسقاط وغايتها السياسية الواضحة منذ البداية، فالكاتب عندما استعان بشخصية الخفاجي عامر دون عن سواه لأنه يتمني من داخل أعماقه أن يصبح جميع حكام العرب بصفات الخفاجي عامر رمز العروبة والوحدة الغيور على قوميته وعلى إخوانه من العرب الذي لا يطيق أن يرى أحد من العرب مظلوم ولا ينصفه ولكن بالمقارنة بالواقع المعاصر نفتقد إلى مثل هذه الأخلاق والمبادئ وأكبر دليل ما يحدث في فلسطين وجميع العرب فى حالة صمت وسكوت غير مبرر ولا يلتفون لما يحدث لهذا الشعب المكلوم وبدلًا من محاربة العدو الحقيقى من بني صهيون، يحاربون بعضهم بعضًا وكل واحد يلقي التهمة على الآخر، فترى الباحثة أن مسرحية غريب في بلاد المغارب خير مثال على ما يحدث في واقعنا العربي المحزن ودرغام والد الخفاجي يمثل تخاذل العرب وحكامهم، وفي المشهد الثالث من المسرحية يحدث تحول مفاجئ من بني هلال وزغبه تجاه الخفاجي عامر غير مبرر، وذلك أثناء سيرهم إلى تونس يأخذون جنبًا من الخفاجي عامر لا يتحدثون معه ولا يتشاورون وكأنه ليس معهم في نفس وجهتهم متعجبًا الخفاجي عامر من تحولهم بعد ما أكرمهم في بلاده وخرج معهم تاركًا أهله وشعبه وعند مواجهته لهم، يقولون إنه ضيف وغريب أنه من العار أن يقاتل عن عرب نجد غريب، ما هذا التحول والتقلب في معاملتهم له، ما داموا يرون أنه غريب لماذا وافقوا على صحبته لهم من البداية ولكن الكاتب سعى إلى كشف سبب عدم اتحاد العرب مع بعضهم بعضًا ، هو العصبية القبلية كلٌّ منهم يرى أنه أفضل من الآخر وأن نسبه وحسبه أعلى من الآخر وهذا الإسقاط

[1] غريب في بلاد المغارب: ص١٠٦، ص١٠٧، ص١٠٨.

السياسي من الكاتب على الواقع فى محله فالعرب منذ قديم الأزل وهم في تقاتل وتناحر بسبب التحيز من ناحية الأصل والعِرْق بالرغم أن رسولنا الكريم حذر من الوقوع في هذه الفتنة وقال في الحديث المشهور (لا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) ولكن لا حياة لمن تنادي، وفي هذا المشهد وضح لنا الكاتب أن عرب نجد لم يتغيروا على الخفاجي عامر العراقي وحده بل لم يأتوا لنجدة الجازية أخت السلطان حسن بعد أن أخذها جنود الملك ماضي بل تركوها أسيرة في أيدي الغرباء ولم يأتِ لا أخوها السلطان حسن ولا أبوزيد ولا دياب وهذا يدل على الدناءة وأنهم لا يهمهم شيء سوى مصلحتهم، فهم من أرسلوا الجازية ومن معها إلى أراضي الملك ماضي لكي يسمح لهم بالمرور على أراضيه ولكنه حجز الجازية عنده ولم تتحرك مروءتهم لكن ينفذ عرضهم فأي أمان لمثل هؤلاء ولكن يتقنها من بين أيادي جنود ماضي سوى الخفاجي عامر الذين قالوا عليه إنه غريب ومن العار أن يقاتل عنهم فقد حرص الكاتب على أن يفضح أنانية العرب وبغضهم الشديد لبعض ولكل من يتعارض مع مصالحهم الشخصية، وهذا الحوار بين الجازية وأبوزيد والسلطان حسن والخفاجي يؤكد ذلك.

ورغم ما فعلوه معه من تنكر له ولمعروفه معهم فإنه هو من سينقذ الجازية التي استنجدت به .

أبوزيد : جنود (ماضي) محاوطينا من كل مطرح...

دياب : الفرسان والعسكر بالألوف... مالنا طاقة بهم..

أبوزيد: أردنا نخدعه... خدعنا اللئيم، وإن ما هربنا وقعنا في أسره.

السلطان حسن: الكثرة تغلب الشجاعة الهروب هو طريق السلامة .

دياب: يا روح ما بعدك روح...

الجازية: الحقني يا أخي ... يا ابن أمي وأبي...

السلطان حسن: (يهرب) الخيل كما السيل من حوالينا

الجازية: خدني يا قاضي العرب.

القاضي: (يهرول) ما يجلب المصايب إلا النسوان ...

الجازية: يا دياب

دياب: (يهرب) في غير اليوم يا وليه...

الجازية: (تلمح الخفاجي) اجرني يا أبو دوابة.

الخفاجي: اهلك قصروا في حقى، وما اعترفوا بي فارس مثل فرسانهم، وبسرعة جحدوا جمايلي...

الجازية: ما هذا وقت المعاتبة، راحوا الفرسان وخلوني أسيرة، وهربوا مهزومين... حتى أبوزيد ولَّى وراح وخلاني وسط العدا وحدي، وولي دياب وابن امي وابي (حسن)

الخفاجي: والله لأهجم وانجدك لو أنت وسط ألوف [١]
بعد ذلك يأتي القتال مع الزناتي ويواجهه الخفاجي عامر ويحاول الزناتي أن يجعله يتراجع مقابل أن يعطيه مالًا وملكًا في بلاد تونس ولكنه يرفض ويصر على قتاله وتحاول ابنته دوابه أن تنجده من الزناتي وغدره وأن عليه أن يتراجع ويعود إلى العراق بلاده وأن عرب نجد لا أمان لهم ولكنه لا يستمع لها لأنه مؤمن بقضيته وهي رد الظلم عن العرب.
دوابة : العدل ضاع بين القبايل والقتل هو الشريعة، والغلبة شهرة كل فرسان العرب، وضاع الحق بينهم – خذلوك وما اعترفوا بجميلك، وباعوك بابخس الأثمان .. وأخاف عليك من غدر الزمان.
الخفاجي – وأنا كل خوفي من الخيانة .
دوابة: الخيانة هي الخيانة، وخيانة الزناتي تشبه خيانة عرب نجد .. أكرمناهم في ديارنا وما أكرمونا- حتى في ميدان الحرب... نسوا الأصول والشهامة ورجعوا لجاهلية قطاع الطرق.
الخفاجي: (في إصرار) أقسمت أقتل الزناتي اليوم وأفرج كربة المكروبين...
دوابة : الزناتي من نسل جان – كما اللوح – جرحة يطيب علي الندي.
الخفاجي: عهد علي، ولابد أوفيه، وأنا وعدت أحاربه عشرة أيام، ولابد أوفي بوعدي...
دوابة : يا أبا ... ارجع الهلالية عارفين إن نهاية الزناتي علي يد دياب – ضربوا الرمل، وضرب الرمل ما يخيب .
الخفاجي: ياما كذب رمالين يا بنتي، والله ما يعرف سر الأجل غير رب السما الله الحق.
دوابة: وهل رأيت كيف العرب يطمعوا ويجشعوا، وما عندهم مروءة أو معروف، وما عندهم عهد وميثاق.. وأنت ياوالدي وأهلك في شدة الغربة وبعد الديار.
الخفاجي: أنا ما زلت أظن أن العرب قبيلة واحدة لها رأس وأساس، ويحكم ما بينهم عقل وسياسة ووحدتهم ما يحلها الدهر، وما يغلبها غلاب...[٢]
الواضح من خلال هذا الحوار إيمان الكاتب العميق بالقضية والآثار المترتبة على الانقسام والتشتت بين العرب ولكنه بداخله بعض من الأمل أن العرب أمه واحدة ولا يستطيع أحد فك هذه الوحدة.
وجاءت نهاية المسرحية بموقف درامي مؤثر ومحزن وهو موت الخفاجي عامر على يد الزناتي وغدره وطعنه من الخلف، وهذه النهاية غنية بالرموز والإسقاط السياسية التي كتب من أجلها الكاتب هذه المسرحية والشيء المخزي أن عرب نجد

---

[١] المصدر نفسه: ص١١٨، ص١١٩.
[٢] المصدر نفسه: ص١٣٨، ص١٣٩.

لم يقوموا بإكرامه وهو ميت، فلم يكرموه أيضًا فى حياته أو مماته وليس لديهم وقت لإقامة عزاء يليق بهذا البطل الشجاع الذى ضحى بحياته في سبيل قضيتهم، وقد جاء الكاتب في الخلفية في نهاية المشهد التاسع بصوت طائر الأوز العراقي ونجوم تلمع أشبه بالطيور وجعل الخفاجي عامر يخاطبهم قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، ولعل الكاتب أتي بهذا الطائر العراقي ليس من باب المصادفة ولكنه رمز للحرية التي كان يبحث عنها الخفاجي عامر وهي أن جميع البلاد التى يحلق فيها بلاده بكل أريحية ولا يجد من يقول له أنك ليس من هذا البلاد وأنك غريب كما فعل عرب نجد مع الخفاجي لذلك تمنى الخفاجي أن يكون كطائر الأوز ويحلق بحرية في بلاد العرب ونلاحظ بأن الكاتب جعل نهاية الخفاجي عامر هي الموت لأن هدفه من كتابة هذا النص المسرحي هو أن يقول للمتلقي العربي أن الوحدة العربية لا تتحقق من خلال الفرد بل الجماعة وأن لابد لجميع العرب أن يؤمنوا بهذه الوحدة ويسعوا من أجلها وأن الفرد الواحد لا يستطيع بشجاعته فقط أن يحقق هذا المطلب بل لابد من الاتحاد هذا ما نلمسه من حوار الخفاجي عامر لطائر الأوز العراقي:

الخفاجي: (مناديًا في لهفة وكأنه وجد ضالته طاطي يا وز العراق لما أقول لك ... يا من علي الغربة تبات صبور... ترعي مراعي النيل تمرح في سماك تأكل ربيع بأرض مصر وزرعها تسعين ليلة، تبيض بأرض العراق المواضع، وكل ليلة في هنا وسرور... فيكم من يروح بلاده وكل ليلة فى هنا وسرور..فيكم من يروح بلاده يا الهنا والسعد وفيكم مثلي خاطره مكسور...)

القاضي: يا عالم علي أي فارس يخرج للميدان بعده...

أبوزيد: دوامة مالها نهاية .... ملعونة... [١]

ومن خلال هذا الحوار يريد الكاتب أيضًا أن يقول إن القتال بين العرب مستمر لا يتوقف وأنهم دائمًا في خلاف وتناحر، وهذا يظهر في كلام القاضي وأبوزيد الهلالي فهذا الحوار مليء بالدلالات الجميلة التي أراد الكاتب أن يعبر عنها من خلال الرجوع إلى التراث واستعادة ما يخدم رؤيته الفنية والسياسية للواقع المعاصر.

ديوان الأيتام:

تدور أحداث مسرحية ديوان الأيتام حول شخصية البطل " علي أبو الهيجان" بن الأمير رزق وحفيد أبوزيد الهلالي الذي يعيش مع أمه في أرض " البرنيجة " عند أخواله بعد وفاة والده حلمه الوحيد أن يجعل قبائل العرب قبيلة واحدة لا زغبي ولا هلالي وأن يكونوا جميعًا أولاد علي تاركين لبس العمامة وأن يلبسوا الطربوش من غير شبال وهذا ما يسعي إليه طوال أحداث المسرحية، ومن خلال هذه الأحداث ناقش الكاتب عدة قضايا ورؤي سياسية مهمة أو تأثير تلك

[١] المصدر نفسه: ص١٤٧.

القضايا على المجتمع العربي ولقد استعاد الكاتب التراث الشعبي يسقط من خلاله على الحاضر بأسلوب غير مباشر .

لذلك حرص الكاتب عبدالغني داود من بداية المسرحية من خلال شخصية علي أبو الهيجان على توجيه رسائل عديدة عن قضية الوحدة العربية ونبذ الخلافات والعصبية من أجل التغلب على أعداء العروبة الذين من مصلحتهم تفرق العرب وتشتتهم وأن الوحدة بين العرب ستقضي على مطامعهم ومصالحهم السياسية بالرغم من المحاولات العديدة في سبيل تحقيق هذه الوحدة أن الكاتب من داخله مازال لديه بصيص من الأمل والتفاؤل، وهذا يتضح لنا من خلال حوار" علي أبو الهيجان" مع أمه وهو يوصيها على زوجته شمسه لأنه ذاهب لمحاربة الصعب الأقطع حفيد دياب بن غانم .

علي: (يلتفت إلي أمه) أوصيكي يا أمي بشمسة ... أغلي ما عندي، رحلتي صعبة وأملي أجعل قبائل العرب أولادي أسرة واحدة اسمها (أولاد علي)....

نورة: أمل بعيد المنال يا علي ... صدقني عشنا ما شفنا غير الحرب والكرب، وياما انكسرنا...

علي : (مقاطعًا) ونرجع نقوم... نورة : رحايه دوارة – رحايه دوارة يا ولدي.... [١]

والكاتب يضع يده على الأسباب التي أدت إلى زيادة التباعد والفرقة بين العرب وهي العصبية القبلية والحسب والنسب، وأن كل جماعة ترى نفسها أفضل من الأخرى فتملكهم الغرور والكبر متناسيين وحدة العروبة والدين، وهذا عبر عنه الكاتب من خلال المواقف الدرامية بين الشخصيات.

علي: (صائحًا) هل من مبارز أيها الشجعان وأنا على صاحب الهمات والسطوات، وما في الميدان إلا " علي"

زيدان : أنا زيدان الهلالي يافتي جئت انصر الأيتام أولاد عمي.

علي: أنا لا هلالي ولا زغبي ولا جعفري ولا دريدي ولا حميري ولا أنا من الأيتام... اخلع عمامتك تكون من (أولاد علي).

زيدان: يا فارس – الهيبة في اللحية والعمامة، والعمامة هي سنة الإسلام، وكيف أننا نقلع الشرف وإثبات الحسب والنسب، وما لنا هدف سوى نصرة الأيتام.

علي: ما ضيعنا غير فرقتنا بين زغبي وهلالي. [٢]

وجاء الكاتب في نهاية المسرحية بموت علي أبو الهيجان رمز الوحدة بين العرب؛ ليؤكد على رؤيته تجاه القضية، وهي أن الوحدة والائتلاف بين العرب لن يحدثه فرد بل لابد الجماعة أن تتحد وأن الكاتب يشير في هذا الموقف الدرامي إلى أن الأبطال المحبين للعروبة وللقومية لا يموتون فقد يموت بطل ويأتي غيره حتى وإن

---

[١] ديوان الأيتام: ص١٩.

[٢] المصدر نفسه، ص١٩.

كان يوجد بين العرب خائن لأهله ودينه فالكاتب بنظرته العميقة للأمور والمتفهمة تدل على الأمل والصبر وأنه على يقين أن الوحدة بين العرب سوف تحدث وليست مستحيلة .

علي: (وهو يحتضر) يا أمي ما تحزني – إن مات ولدك علي عندك أولاد علي يسدوا عين الشمس ... مهما كان بينهم جبان أو خوان ... مدد يا أولاد علي (يلتفت إلى شمسه) ولدي أمانه في رقبتك يا شمسه... اسمه " علي وأولاد علي" .....

الصعب الأقطع: (في موقعه بين الجنود النورمان – الأجانب غريبي الوجوه – وساخرًا باستهزاء) اليوم لا الطرابيش ولا البرانس ولا الحرامات تنفعك !!! أنا الصعب الأقطع ... ما يغلبني جان، وهو أن أملا الأرض بالأيتام.

علي : (لمن حوله) ما كان قصدي الطربوش والحرام وخلع العمامة إلا أني أجمع شمل قبيلتنا المتشتتين – قبايل تفني بعضها بالقتل والسلب والخراب والذل، وكان مرادي يتجمعوا لا يتامي... ولا مقهورين ....

نورة: أيتام ياعرب مكتوب علينا اليتم علي طول المدي ... لأجل يواجهوا اليوم المشئوم .[١]

النتائج المترتبة :

١- دعا الكاتب عبدالغني داود بالبطولة الجماعية رافضا البطولة الفردية، لحل قضية الوحدة العربية.

٢- أن الوحدة العربية لن تتحقق إلا من خلال نبذ العصبية القبلية والتخلي عن العنجهية وأن كل جماعة تري أنها الأفضل من حيث النسب والمكانة الاجتماعية.

قائمة المصادر

١) عبدالغني داود: اللعنة من فوق المنبر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة الكتاب،١٩٩٤.

٢) عبدالغني داود: غريب في بلبيس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

٣) عبدالغني داود: ديوان الأيتام، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٩.

٤) عبدالغني داود: السفيرة عزيزة، القاهرة، إيزيس للإبداع والثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

٥) عبدالغني داود: غريب في بلاد المغارب، القاهرة، إيزيس للإبداع والثقافة، ٢٠٠٨.

[١] المصدرنفسه، ص٢١.